مجلة فصلية تُعنى بالتراث العربي المخطوط

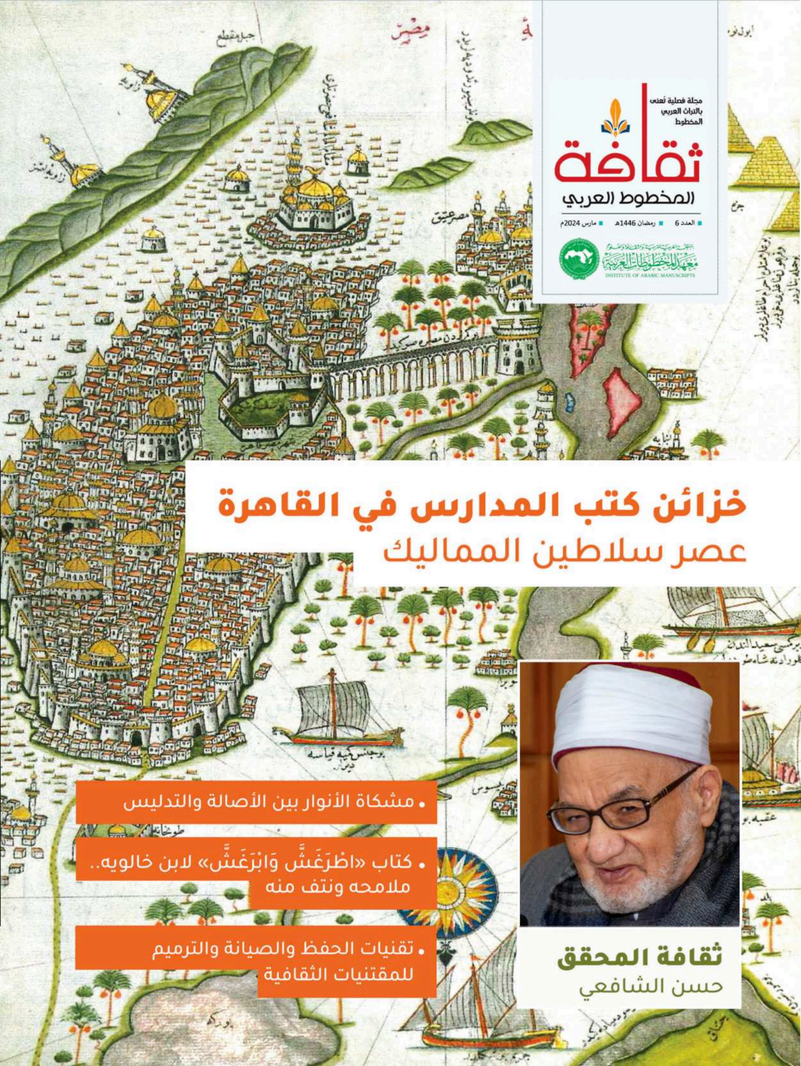
ثقافة المخطوط العربي

العدد 6 ■ رمضان 1446هـ ■ مارس 2024م

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد المخطوطات العربية

INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS



خزائن كتب المدارس في القاهرة
عصر سلاطين المماليك

- مشكاة الأنوار بين الأصالة والتدليس
- كتاب «اطْرَغَشَّ وَابْرَغَشَّ» لابن خالويه.. ملامحه ونتف منه
- تقنيات الحفظ والصيانة والترميم للمقتنيات الثقافية

ثقافة المحقق
حسن الشافعي

مجلة فصلية تُعنى بالتراث العربي المخطوط

ثقافة المخطوط العربي

العدد 6 ■ رمضان 1446 هـ ■ مارس 2025م

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS (IAM)

العنوان: ٢١ ش المدينة المنورة، محيي الدين أبوالعز، المهندسين، القاهرة، مصر

المراسلات: ص.ب ٨٧ الدقي – القاهرة – ج.م.ع برقيا مخطوط القاهرة

هواتف: ٥/٣/٢ ٣٧٦١٦٤٠٢ ٢٠٢+　　الفاكس: ٣٧٦١٦٤٠١ ٢٠٢+

الموقع الإلكتروني: www.malecso.org

صفحة التواصل الاجتماعي: www.facebook.com/IARMSS

تويتر: www.twiter.com/IARMSS

ثقافة المخطوط العربي



المخطوطات والوثائق بين المحتوى والصيانة







المؤتمر الدولي الثاني عشر لمركز الدراسات البردية والنقوش

37-32

أشرنا في المقالة السابقة إلى أوَّل كتاب فلسفي يُطبع بالعربية (كتاب النَّجاة مختصر الشفاء) لابن سينا، كملحقٍ لكتابه «القانون في الطب» عام ١٥٩٣م بعناية المستشرق الإيطالي جيوڤني بتستا رايموندي (مدير المطبعة الشرقية المديشية).

أعلام التحقيق الفلسفي «٢»

الرواد المجهولون: هل ساهم طلاب الكلية المارونية في نشر الفلسفة العربية ؟

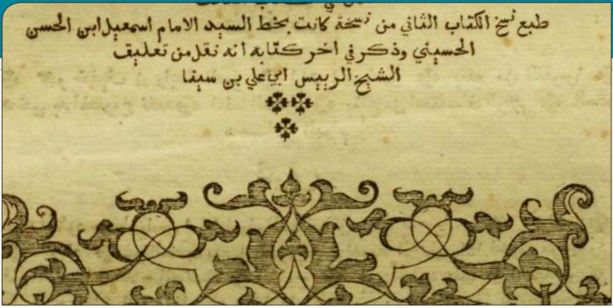


د. عبدالرحمن خالد الخنيفر
(زميل ما بعد الدكتوراه- منحة قنواتي)

وكان منطقيًا السؤال عن مصدر هذه الكتب المخطوطة، وبالنظر لحرد متن غفلنا عن الإشارة إليه في نهاية الكتاب الثاني من كتاب «القانون»، جاء فيه ما نصُّه: «طبع نسخ الكتاب الثاني من نسخة كانت بخط الإمام إسمعيل ابن الحسن الحسيني، وذكر في كتابه أنه نقل من تعليق الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا»[١]، يمكن تتبع هذه الأصول المخطوطة. ويغلب على الظن أن مصدر معظم المخطوطات المطبوعة بـ (المطبعة الشرقية المديشية) تعود أصولها إلى مدَّخرات مكتبات آل مديشي الخاصة، ذات التاريخ الثقافي الحافل بجمع الكتب المخطوطة بشتَّى اللغات منذ جدهم الأكبر كوزيمو دي مديشي [ت١٤٦٤م] وحفيده لورانسو [ت١٤٩٢م] وصولًا للكاردينال فرديناندو [ت١٦٠٩م][٢]. ويعضد هذا الرأي

(١) يغلب على الظن أن المقصود بالإشارة، الإمام الطبيب زين الدين إسماعيل بن الحسن الحسيني الجرجاني، الذي عاش في خوارزم طبيبًا للملك العادل خوارزمشاه بن محمد، وصنَّف له: كتاب «الطب الملوكي»، و«كتاب الذخيرة»، و«كتاب الأغراض». وكان مُكبًّا على قراءة كتب أبي بكر الرازي و ابن سينا كما يظهر ذلك من تنميقه لعناوين كتبه، وكذا جمعه بين الطب والفلسفة، وافترق عنهما بورعِه الشديد فلُقِّب بـ«الإمام». توفِّي في مرو بعد عام ٥٣١هـ، تاركًا خلفه «كتبًا مباركة، سارت بتصانيفه الركبان» ومنها كتابه المخطوط بالمكتبة البريطانية «زبدة الطب». انظر: ابن سينا، القانون في الطب، ص٢٨٠، ط١ (روما: المطبعة الشرقية المديشية، ١٥٩٣)، و ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام: تتمة كتاب صِوان الحكمة للسجستاني، تح: ممدوح حسن محمد، ص٣٥، ط١ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦).

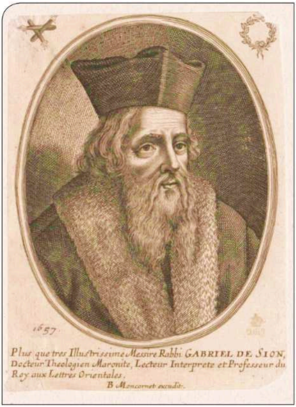
(٢) للاستزادة، انظر: يحيى بن جنيد الساعاتي، المطبعة المديشية في روما، =



حرد متن الكتاب الثاني من كتاب القانون لابن سينا

دليلٌ ماديٌّ يتمثل في مجموعة البطريرك السرياني أغناطيوس نعمة الله [ت ١٥٨٧م] المخطوطة التي اشتراها منه فرديناندو عام ١٥٨٦م، واحتوت على كتبٍ علمية[1]، منها كتاب «المخروطات» الذي درسه رايموندي. فكان من الطبيعي أن تكون مطبعة آل مديشي أوَّل مطبعة تطبع كتبًا دنيوية باللغة العربية، بعد اختراع المطبعة بمئةٍ وخمسين عامًا.

كان من اللافت القدرة الفائقة لرايموندي على قراءة النصوص العربية المخطوطة في الطب والفلسفة -لا اللاهوت



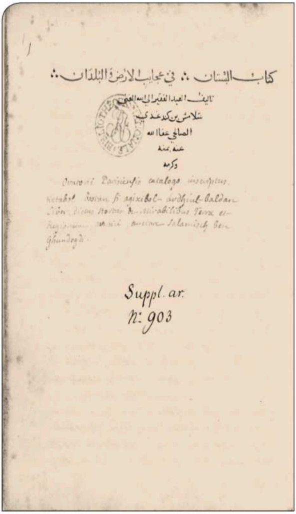
جبرائيل الأهدني أشهر طالب درس في "الكلية المارونية" وعمل في الترجمة والطباعة

= مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥م، السنة الأولى (العدد١)، ص١٦٨، وعبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٥٢. ط٤ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣).

(١) وفقًا لكتالوج ماركو دوبيلو عام ١٦١٠م، فقد بلغت مخطوطات هذه المجموعة أكثر من مئة مخطوط. وكان البطريرك نعمة الله طبيبًا، هرب عام ١٥٧٦م لروما نتيجة اكتشاف السلطات العثمانية مخابرته للكنيسة الكاثوليكية، وعمل في روما متعهدًا لجلب المخطوطات العربية لمكتبة الفاتيكان ومكتبة فرديناندو دي مديشي. ولا نستبعد إعانته أو إشارته لرايموندي بطباعة كتاب «القانون» لابن سينا. للاستزادة، انظر: فيليب دي طرازي، اللغة العربية في أوروبا، ص٢٩-٣٠. (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣). و Orsatti, Paola (2015). "Italy viii. PERSIAN MANUSCRIPTS". Encyclopædia Iranica. Vol 14. pp 273–277.

المسيحي- دون أخطاءٍ تُذكر![1] مع عدم إغفالنا أو تجاهلنا استعانته بالطبَّاعين الشَّهيرين: الباريسي روبير غرانجون- الذي طبع جزءًا من «الأناجيل الأربعة» بالعربية[2] طبعة بديعة[3] سنة وفاته (١٥٩٠م)-[4]، والإسباني جاكومو لونا العارف بالعربية، والذي استقدمه من غرناطة[5].

مشروع رايموندي الواسع في طباعة النصوص العربية الدنيوية (الخالية من الدعاية الدينية) ابتدأ مع طباعته أوَّل مؤلَّف بعنوان «البستان في عجائب الأرض والبلدان» بعناية الطبَّاع البندقي دومينيكو بازا في روما عام ١٥٨٥م، لمؤلِّف في عصرهما ما زالت أخباره مجهولة إلى اليوم، هو سَلامش بن كُنْدُغدي الصالحي، وهو مسلم أقام في القاهرة- على ما يبدو- طليعة العصر العثماني. أمَّا أول نص تراثي دنيوي يطبعه،



مخطوط "كتاب البستان" من المكتبة الفرنسية، ولم يظهر حتى اليوم نسخة من الكتاب المطبوع عام ١٥٨٥م

(١) عملت المطبعة نحو سبع سنواتٍ (١٥٨٦-١٥٩٣م) لجمع وصف الكتابين (القانون والنَّجاة) في نحو ١٠٤٠ صفحة، مع عملها على تنضيد كتب أخرى عربية ولاتينية في ذات الفترة.

(٢) انظر: كتاب: «الإنجيل المقدس لربنا يسوع المسيح المكتوب من أربع الإنجيليين المقدسين: أعني متى ومرقس ولوقا ويوحنا» (روما: المطبعة الشرقية المديشية، ١٥٩٠-١٥٩١). ولا يُعلم من قام بترجمتها، وأشار أحد المصادر إلى أن المترجم هو جاكومو لونا المعروف عربيًا بـ«يعقوب بن هلال». انظر: المطران مارون ناصر الجميل وآخرون، تاريخ التراث العربي الماروني: المؤلفون الموارنة في العصر العثماني، ص١٩. (بيروت: المكتبة البولسية، ٢٠١٣).

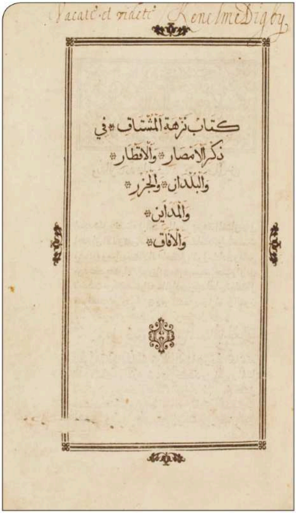
(٣) صنع غرانجون أربعة أنواع من الحروف العربية، منها حرف صغير عُرِف بحرف ابن سينا نسبة للكتاب المطبوع، وآخر كبير طُبعت به الأناجيل الأربعة. انظر: يحيى بن جنيد الساعاتي، المطبعة المديشية في روما، ص١٧٠.

(٤) وقع اضطرابٌ في تحديد سنة طبع الكتاب بين عامَيْ ١٥٩٠-١٥٩١م، والصحيح أنَّ الجزء الأول طُبع عام ١٥٩٠م لوجود حروف تاريخ الطبع (M.D.XC)، وانتهى في عام ١٥٩١م كما هو مدون بالعربية، بينما طُبعت الترجمة اللاتينية/ العربية للكتاب عام ١٥٩١م، وذلك بالنظر إلى إضافة حرف (I) لسنة الطبع (M.D.XCI). وهو بالمناسبة أوَّل مطبوع عربي يحتوي على تصاوير.

(٥) أولغا پينو، الطباعة العربية في إيطاليا من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، مجلة المشرق، ١٩٦٤م، العام الحادي عشر (العدد ١-٢)، ص٩.

فكان كتاب «نزهة المشتاق» للإدريسي عام ١٥٩٢م. فضلًا عن ترجمة وصَفِّ النصوص المسيحية (اللاهوتية) للعربية في سنواتٍ معدودة (١٥٩٠-١٥٩٥م). تُثير هذه المطبوعات تساؤلاتنا حول قدرة ثلاثة من المستعربين إنجاز هذه الأعمال الضخمة بجودة متناهية؛ رغم صعوبة الحفر والتنضيد والطباعة حينها[١]. ما نريد قوله أنَّنا نميل لاستعانة رايموندي في المطبعة الشرقية بطلاب من أرومة عربية، أسهموا في قراءة الكتب المخطوطة ونسخها ومراجعة صفها. فمَن هم هؤلاء الفتيَّة العربيَّة؟

ليس من المصادفة أن تنشأ (الكلية المارونية) بروما عام ١٥٨٤م؛ لتدريس الطلاب الموارنة من لبنان وسوريا وقبرص بأمرٍ من البابا غوريغوريوس الثالث عشر [ت١٥٨٥م][٢] في ذات العام التي تأسست فيه (المطبعة الشرقية المديشية). وكانوا قبل ذلك يطلبون العلوم اللاهوتية في جامعات روما عام ١٥٧٩م[٣]. لا نملك قائمةً دقيقةً ومؤكدة بأسماء هؤلاء الطلاب ما قبل تأسيس الكلية المارونية، والذين كانت أغراض استضافتهم للدراسة لاهوتية وتبشيرية صِرفة، لكن مع تأسيس



غلاف كتاب نزهة المشتاق للإدريسي المطبوع عام ١٥٩٢م

---

(١) طبعت «المطبعة المديشية» عشرة كتب بالعربية، هي: «الأناجيل الأربعة» ١٥٩٠-١٥٩١م، و«الأناجيل الأربعة بلغتين» (عربية - لاتينية) ١٥٩١م، و«نزهة المشتاق» للإدريسي ١٥٩٢م، وموجز كتاب «الألفباء العربية» لجاكوب كريستمان ١٥٩٢م، و«الأجرومية» للصنهاجي ١٥٩٢م، و«كافية ابن الحاجب» ١٥٩٢م، و«القانون في الطب» وملحق به «النجاة» ١٥٩٣م، و«تحرير أصول أوقليدس» ١٥٩٤م، و «اعتقاد الأمانة الأرتدكسية» لجوڤاني إليانو ١٥٩٥م.

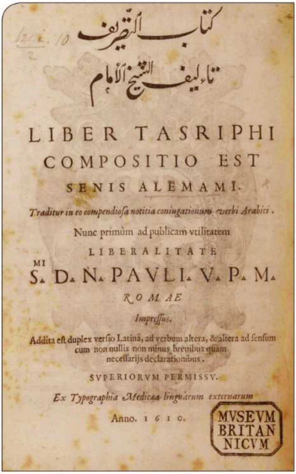
(٢) يمكن القول أنَّ «الكلية المارونية» هي أول كلية عُنيت باللغات الشرقية وخصوصًا «العربية» في روما، وهي نتيجة غير مباشرة لنتائج مجمع ترنت (المجمع التريدنتيني) الذي عُقِد بين عاميْ (١٥٤٥-١٥٦٣م) في روما، ونتيجة مباشرة لإعلان «مجمع قنُّوبين الأول» في لبنان عام ١٥٨٠م، وخلُص المجمعان إلى جملة قرارات، منها: احتضان بابا الكاثوليك موارنة الشرق حمايةً لهم من «الإصلاح البروتستانتي». للاستزادة، انظر: مارون ناصر الجميل وآخرون، تاريخ التراث العربي الماروني (مرجع سابق)، ص٥٣-٥٥.

(٣) أسَّس تلاميذ هؤلاء الطلاب مطبعة مارونية خاصة بهم عام ١٦٥٣م. انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ج٣، ص٣١٧. ط٥ (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦).

المطبعة أصبح لهؤلاء الطلاب أغراض وظيفية في تصحيح النصوص العربية وترجمتها من العربية وإليها، فعَمِل أنجبُ خرِّيجيها في التدريس والترجمة والطباعة في روما وباريس[1].

بقي إذن أن نُشير إلى أسماء المصحِّحين الذين نرجِّح إعانتهم لرايموندي في نشر النصوص الفلسفية والطبية والجغرافية العربية[2]، فضلاً عن النصوص اللاهوتية-أثناء تخرجهم من الكلية المارونية وبعد- وهم: بطرس المطوشي [١٥٥٩-١٦٢٥م] قبرصي يسوعي، عمل بعد تخرجه أستاذًا للعربية في المعهد الروماني، ويوحنا الحصروني [١٥٦٠-١٦٣٢م] لبناني دومنيكاني، تولَّى الإشراف على المطبوعات السريانية عام ١٥٨٤م، وترجم نصَّ التوراة العربي إلى اللاتينية، وقِسمًا من كتاب «نزهة المشتاق»، ويوحنا فهد [ت١٦٣٢م] لبناني دومنيكاني، ترجم للعربية قسمًا من «الخلاصة الإكوينية»، وحقَّق «قواعد اللغة السريانية» عام ١٥٩٦م[3].

وأبكرُ هؤلاء الثلاثة حضورًا لروما كان يوحنا الحصروني عام ١٥٨١م، ومعه ثلاثة من زملائه الموارنة، وحصل بعد ثلاثة أعوام على إجازة بالتدريس في الكلية المارونية، بالإضافة إلى



غلاف كتاب التصريف للزنجاني، عام ١٦١٠م

(١) من هؤلاء كسبار القبرسي (١٥٦٢-؟١٦٢م)، وجرجس عميرة (١٥٦٨-١٦٤٤م)، وبطرس المطوشي اليسوعي (١٥٦٩-١٦٢٥م)، وموسى العاقوري (١٥٧٠-١٦١٤م)، وسركيس الرِّزي (١٥٧٢-١٦٣٨م)، والخوري جرجس الكرمسدي (١٥٧٢-؟١٦٢م)، وأشهرهم جبرائيل الصهيوني الأهدني (١٥٧٥-١٦٤٨م). للاستزادة: انظر: المطران مارون الجميل وآخرون، تاريخ التراث العربي الماروني (مرجع سابق)، ص٨٢-١٥٤.

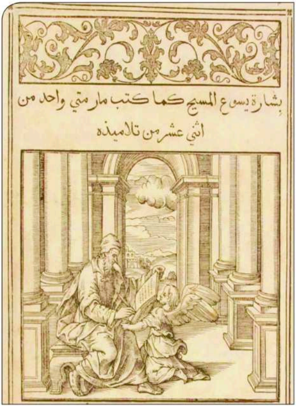
(٢) لا تشترط إحاطة المصحِّح بفنون المعرفة، فمصحِّحو مطبعة بولاق صحَّحوا في شتى المجالات: الطبية والهندسية والفلسفية، فضلًا عن العلوم التراثية التي يُحسنونها، وفي القائمة التي يوردها المرحوم جمال الدين الشيَّال أصدقُ برهانٍ على ذلك: كالشيخ نصر الهوريني، والشيخ إبراهيم الدسوقي. مع وجود فرق جوهري بين التجربتين، فالتجربة البولاقية تورِد أسماء المصحِّحين في حرد المتن، بينما تُغفِل التجربة المديشية أسماء المصححين والمراجعين- إذا صح افتراضنا-. انظر: جمال الدين الشيال، تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ص١٧٢-١٨٤. (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٥١).

(٣) نجيب العقيقي، المستشرقون (مرجع سابق)، ج٣، ص٣١٩.

إشرافه على طباعة المؤلَّفات السريانية، وهو أكثر شخصية نرجِّح مساعدتها لرايموندي في نَسْخ المخطوطات العربية، وتصحيح مطبوعاتها ومراجعتها(١). ومن الشخصيات المحتملة نصر الله شَلَق العاقوري [ت١٦٣٥م]، الذي لم يَعُد لمسقط رأسه، وكان سفيرًا للأمير فخر الدين المعني الثاني [ت١٦٣٥م] في روما، ورفيقًا لجبرائيل الصهيوني الأهدني [ت١٦٤٨م].

من المؤكد أن الفوج الأول من الخرِّيجين عمل على طباعة «كتاب القدَّاس الماروني» بين عامَيْ ١٥٩٢-١٥٩٤م(٢). ويمكن عمل قائمة مطوَّلة بالكتب اللاهوتية التي عمل عليها هؤلاء الطلاب الوافدين في الفترة (١٥٨٤-١٦٢٤م)، ستبلغ العشرات من الكتب المسيحية، ولذلك رجَّحنا مشاركتهم رايموندي في نشر النصوص الفلسفية العربية.

لا يعني ما سبق التقليل من جهود رايموندي؛ فهو العارف بلغات الشرق والأستاذ الجامعي القدير، والمختص في الرياضيات والفلسفة الأفلاطونية، وأعماله الجليلة في طباعة النصوص العربية فتحت الباب على مصراعيه لطباعة مئات الكتب العربية التراثية في القرون التالية. ظلَّ رايموندي مخلصًا لـحُبِّه للتراث العربي، حتى آخر سنيِّ عمره، فطبع «كتاب التصريف» الشهير للزنجاني [ت٦٦٥هـ](٣) عام ١٦١٠م، أي قبل وفاته بأربع سنين، ما يؤكد ولعَهُ الشديد بالثقافة العربية ولغتها الخالدة.



نموذج للرسومات والخط المستعمل في كتاب الإنجيل المقدس المطبوع عام ١٥٩٠م

(١) أنطون سعيد خاطر، المطران يوحنا المعمدان الحصروني الماروني: الراهب الدومينيكاني (١٥٦٠-١٦٣٢) طليعة رواد النهضة المارونية: دراسة تاريخية-لاهوتية، ص٤٠ وما بعدها. (عمشيت: دكاش برينتغ هاوس، ٢٠١٢).

(٢) مارون ناصر الجميل وآخرون، تاريخ التراث العربي الماروني (مرجع سابق)، ص٥٤، ٩٤.

(٣) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٥١، وعبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني، كتاب التصريف تأليف الشيخ الإمام، (روما: المطبعة الشرقية المديشية، ١٦١٠).